من الدوحة إلى السويداء: رحلة فيصل القاسم من التحريض إلى الطائفية

20 يوليو 2025

أدب وسخرية

3 دقيقة قراءة

من الدوحة إلى السويداء: رحلة فيصل القاسم من التحريض إلى الطائفية

أربعة عقود قضاها فيصل القاسم في قناة الجزيرة، متنقلاً بين أدوار المحرض والوطني و"صوت الضمير"، قبل أن تُسقط أحداث السويداء الأخيرة القناع عن وجهه الحقيقي: طائفي درزي لا يختلف عن أولئك الذين قضى عمره في "فضحهم". والحال أن الرجل الذي صدع رؤوسنا بـ"الاتجاه المعاكس" لم يكن يمارس سوى اتجاه واحد حين يصل الأمر إلى طائفته.

ذاك أن ما جرى في يوليو 2025 كان امتحاناً كاشفاً لمن يدعون الحياد. فالقاسم، ابن الثعلة في السويداء، لم يتردد في وصف العشائر البدوية بـ"البرابرة والمغول"، مستحضراً أسوأ ما

فـي القـاموس التحريضـي. "مـن هـم هـؤلاء الـبرابرة والمغـول الذيـن يقتلـون الأطفـال؟" يتساءل بانفعال، متجاهلاً من قام بالفعل ومن كان ردًا عليه.

الأخطـر أنـه يصـور الـدروز كضحايـا يتعرضـون لـ"حرب إبـادة" التعـبير نفسـه الـذي اسـتخدمه حكمـت الهجـري، الزعيـم الروحـي الـدرزي الـذي التقـاه القاسـم. هـذا التطـابق ليـس مصادفـة: فالقاسم يردد ما تمليه القيادات الدرزية، مطالباً بـ"تدخل دولي" لحماية السويداء.

بيـد أن المجموعـات الدرزيـة المسـلحة لـم تكـن بريئة. فالاشتباكات بدأت باستفزازات من الطرف الدرزي. أما الهجري فيقود خطاباً انفصالياً يهدد وحـدة سوريـا، مسـتقوياً بالخـارج. والأنكـى أن

إسرائيل أعلنت أنها "لن تقف مكتوفة الأيدي"، فباتت تلعب دور "الحامي". أليس هذا الاستجداء لتدخل الدولة العبرية هو الخيانة بعينها؟ وهل يؤكد هذا أن الطائفة الدرزية بالسويداء متحالفة مع إسرائيل منذ البداية؟ وهل نحتاج لفتح كتب التاريخ لنثبت الظاهر الواضح من هذه المهزلة؟

المطالبة بـ"إدارة ذاتية" للسويداء ليست سوى خطوة على طريق التقسيم الذي تحلم به إسرائيل. وها هو القاسم يقدم خدماته لهذا المشروع، ملوحاً بفزاعة "الإبادة".

المفارقة أن القاسم الذي يصرخ دفاعاً عن "أهلنا في السويداء" هو نفسه الذي حرض على الطوائف الأخرى لسنوات. أين كان حرصه

على "الأطفال الأبرياء" حين كان يبرر قتل أطفال الطوائف الأخرى؟

والحق أن المجموعات الدرزية المسلحة رفضت الانخراط في أي مشروع وطني، مفضلة عزلتها المسلحة، تستقوي بالخارج كلما ضاقت السبل. أليس هذا ما فعلته ميليشيات أخرى لم يتوقف القاسم عن شتمها؟

القاسم، الذي يتقاضى راتبه من قطر، سرعان ما كشف وجهه: درزي أولاً وأخيراً. هذا ما أكدته تغريداته التي تصور العشائر كمعتدين، والدروز كحملان تستحق الحماية الدولية.

ما يفعله القاسم والهجري إعادة إنتاج للعبة الطائفية التي دمرت المشرق. فبدلاً من حلول وطنيـة، يلجـؤون للاسـتقواء بالخـارج والتلويـح

بالانفصال. وهذا ما تريده إسرائيل: دويلات طائفية متناحرة.

يُثبت القاسم أنه لا يختلف عن أي زعيم ميليشيا طائفية. سلاحه ميكروفون بدلاً من الكلاشنكوف، لكن النتيجة واحدة: مزيد من التفتيت والدماء.

كم من "فيصل قاسم" آخر يختبئ خلف شعارات براقة، ينتظر اللحظة ليكشف وجهه الطائفي؟ وماذا ستفعل الجزيرة مع مذيعها الطائفي؟